فضائل شهر شعبان وفضل العمل الصالح فيه

٢٩رجب ١٤٣٧هـ / ٦ مايو ٢٠١٦م

أولا: العناصر:

١. من فضائل شهر شعبان.
٢. هديه (صلي الله عليه وسلم) في شعبان.
٣. فضل العمل الصالح في شعبان.
٤. ضرورة استثمار الأوقات الفاضلة في التقرب إلى الله عز وجل.

ثانيا: الأدلة:

من القرآن الكريم:

١. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}[النساء: ٤٨].
٢. وقال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[الأنعام:١٦٠].
٣. وقال تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ}[الحشر: ١٨-٢٠] .
٤. وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً}[الأحزاب: ٥٦] .
٥. وقال تعالى:{وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا}[الكهف: ٨٨].
٦. وقال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[البقرة: ٢٥].
٧. وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[يونس: ٩].

من السنة النبوية:

١. عن أُسَامَة بْن زَيْدٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: (ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ

شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) (رواه النسائي في سننه).

٢. وعَنْ أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ ، وَلَمْ أَرَهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ ، كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا بَلْ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ) (رواه النسائي في سننه).

٣. وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) (رواه البخاري).

٤. وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ) (رواه ابن ماجه).

٥. وعن أَنَس بْن مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ) (رواه النسائي).

٦. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا ، هَلْ تَنْظُرُونَ إِلاَّ فَقْرًا مُنْسِيًا أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) (رواه الترمذي).

٧. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، تُرْزَقُوا وَتُنْصَرُوا وَتُجْبَرُوا) (سنن ابن ماجه).

ثالثا: الموضوع:

من فضل الله تعالى ورحمته بعباده أن جعل لهم أوقاتًا يضاعف لهم فيها الأجر والثواب ، وجعل لهم مواسم يستكثرون فيها من الطاعات ، ويتزودون فيها بخير زادٍ ، عملاً بقول الله تعالى : {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ} [البقرة: ١٩٧]، وامتثالاً لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ لِرَبِّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَيَّامِ دَهْرِكُمْ نَفَحَاتٍ ، فَتَعَرَّضُوا لَهَا ، لَعَلَّ أَحَدَكُمْ أَنْ تُصِيبَهُ مِنْهَا نَفْحَةٌ لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا) (رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ) .

وها هي أيام الخير تتوالى ، وشهور النفحات والرحمات يتبع بعضها بعضا ، ونحن في هذه الأيام المباركة نعيش بين الحين والحين في مناسبات دينية توقظ النائم وتنبه الغافل ، وتهذب السلوك ، فبالأمس القريب احتفل المسلمون بذكرى الإسراء والمعراج ، تلك المعجزة التي اختص الله عز وجل بها سيد الخلق محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) ، وسجلها القرآن الكريم وخلد باسمها سورة من سوره تسمى بسورة الإسراء ، واليوم نعيش بين يدي شهر شعبان المكرم ، الذي يتشعب فيه الخير وتكثر ففيه النفحات الإلهية ، والعطايا الربانية ، شهر جعله الله تعالى مقدمة للخير وبداية لموسم الطاعات والقربات إلى رب العالمين.

وكلما هلَّ علينا شهر شعبان من كل عام يوقظنا من غفلتنا ويحثنا على المزيد من الأعمال الصالحة إرضاءً لرب العالمين وطلبًا للثواب والغفران ، فهو شهر يستجيب الله تعالى فيه الدعاء ، وتفتح فيه أبواب السماء ، وترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، فهو شهر عظيم كرمه الله عز وجل ، وكرمه رسوله (صلى الله عليه وسلم).

فمن تكريم الله عز وجل لهذا الشهر العظيم: نزول الأمر بالصلاة والسلام على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حيث نزل فيه قول الله تعالى : {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}[الأحزاب: ٥٦]. فقد قال كثير من العلماء والمفسرين أن هذه الآية نزلت في شهر شعبان.

ولقد وعد الله (عز وجل) من يصلي على عبده ورسوله سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بالخير الكثير والثواب الجزيل، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ) (رواه البخاري في الأدب المفرد) ، زاد النسائي (ورُفِعَتْ له عَشْرُ دَرَجَاتٍ).

وفي صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: (إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ

صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ).

ومن تكريم الله تعالى لشهر شعبان: أن فرض فيه الصيام على أمة الحبيب المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، فقد فرض الصيام في شعبان من السنة الثانية للهجرة النبوية.

ومن تكريم الله تعالى لشهر شعبان : أن خصه سبحانه وتعالى برفع أعمال العباد إليه ، كما أخبرنا بذلك النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ) ، فالسعيد من يرفع عمله في صحيفة بيضاء نقية ، والشقي من حرم الأجر والثواب ورفع عمله مشحونا بالسيئات.

ومن تكريم الله تعالى لهذا الشهر الكريم: أنه سبحانه وتعالى يتفضل فيه بالعطاء على أهل الصفاء والنقاء الذين سلمت صدورهم من الغل والحقد فيغفر لهم ذنوبهم في ليلة النصف منه، فَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) أن رَسُول اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ ، إِلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ)(سنن ابن ماجه).

وأما عن تكريم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لشهر شعبان ، فإن لهذا الشهر مكانة عظيمة ، ومنزلة رفيعة عنده (صلى الله عليه وسلم)، فقد كان يخصه بمزيد من العبادة والطاعة ، والتقرب إلى الله عز وجل ، وكان يكثر فيه من الصيام ، مما لفت أنظار أصحابه (رضوان الله تعالى عليهم) ، فسألوه عن سرِّ اهتمامه بهذا الشهر الكريم ، فعن أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ، قَالَ: (ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) (رواه النسائي في سننه).

وفي الصحيحين ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) أَنَّهَا قَالَتْ : (كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يُفْطِرُ ، وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لَا يَصُومُ ، وَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْهُ صِيَامًا فِي شَعْبَانَ) (صحيح مسلم). وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهَا) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ " لَمْ يَكُنْ يَصُومُ مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا تَامًّا يُعْلَمُ إِلَّا شَعْبَانَ، يَصِلُ بِهِ رَمَضَانَ" (مسند أحمد).

فهذه الأحاديث وغيرها تجعلنا أمام إشارة من فعل المصطفى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وتنبهنا إلى التعرف على أسرار هذا الشهر الكريم وأسباب تكريمه واختصاصه بمزيد من العبادة والطاعة.

وإنما كان النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يفعل ذلك ليلفت أنظار المسلمين إلى العناية بهذا الشهر الكريم ، والإقبال على الله تعالى بالطاعات والمزيد من القربات ، ليكونوا على صلة دائمة بخالقهم عز وجل ، فإن العبد إذا تقرب إلى ربه شبرًا تقرب إليه ربه ذراعًا ، ففي صحيح البخاري ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً). والحق سبحانه وتعالى يقول: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[الأنعام:١٦٠].

وإذا ما نظرنا إلى فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) وكثرة صيامه في شهر شعبان نجد أن السبب في ذلك يرجع إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول : أن هذا الشهر يغفل الناس فيه عن عبادة الله عز وجل ، لأنه يقع بين شهرين عظيمين ، شهر رجب وهو من الأشهر الحرم التي يجتهد فيها الناس بالعبادة ، ويكثرون فيها من الطاعة ، وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ويخصه الناس بمزيد من العبادة والتقرب إلى الله تعالى ، فيغفل الناس عن شعبان لوقوعه بين هذين الشهرين ، وتفتر الهمم عن العمل ، فيقَصِّرُون في العبادة والطاعة ، فأراد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن ينبه الناس إلى منزلة هذا الشهر الكريم ، وأن أفضل الذكر عندما يكون الناس في غفلة عن ربهم عز وجل ، وأعظم الطاعات عندما ينصرف الناس عن طاعة مولاهم ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ إِذَا لَقِيَ الرَّجُلَ مِنْ أَصْحَابِهِ، يَقُولُ: تَعَالَ نُؤْمِنْ بِرَبِّنَا سَاعَةً، فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ لِرَجُلٍ، فَغَضِبَ الرَّجُلُ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا تَرَى إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ يُرَغِّبُ عَنْ إِيمَانِكَ إِلَى إِيمَانِ سَاعَةٍ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ رَوَاحَةَ، إِنَّهُ يُحِبُّ الْمَجَالِسَ الَّتِي تَتَبَاهَى بِهَا الْمَلَائِكَةُ) (مسند أحمد ، وقال الهيثمي : إسناده حسن).

فالعبادة في وقت الغفلة أبعد ما تكون عن الرياء ، وأقرب للإخلاص، وأدعى للقبول، وأعظم للأجر والثواب ، وتأتي عبادة الصوم على رأس العبادات لأنها سر بين العبد وربه ، ويعظم فضلها وقت غفلة الناس عنها ، لذلك يقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا) (صحيح البخاري). وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رَضِيَ اللهُ

عَنْه) قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أيُّ الصَّوْمِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : (صَوْمُ شَعْبَانَ تَعْظِيمًا لِرَمَضَانَ)(السنن الكبرى للبيهقي).

الأمر الثاني: أنه شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ، كما أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: (وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ) .

ومن المعلوم أن أعمال العباد تعرض على الله تعالى كل يوم وليلة، ففي صحيح مسلم ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ: (إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ – وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ – لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ).

ثم تعرض عليه في كل اثنين وخميس ، كما في صحيح مسلم ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا).

ثم تعرض عليه سبحانه وتعالى أعمال السنة كلها عرضًا سنويًّا في شعبان ، كما في حديث أسامة بن زيد (رضي الله عنهما).

ولعلّ الحكمة من رفع الأعمال في هذا الشهر خاصة ، أن شهر شعبان هو نهاية العام التشريعي من كل عام ، إذ أن بدء نزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان ، وبه كان التكليف ، وبآياته شرعت الأحكام ، وعن طريقه عرف الحلال والحرام ، وبذلك يكون قد بدأ قلم التسجيل في رمضان وينتهي العام التشريعي في شعبان ، ومن ثمَّ ترفع الأعمال إلى الله رب العالمين ، فالسعيد من يرفع عمله وهو على طاعة وعبادة وعمل صالح لله عز وجل .

وإذا كان فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) من كثرة صيامه وطاعته لله رب العالمين في شهر شعبان يحثنا على المزيد من العمل الصالح تقربًا إلى الله تعالى فإنه سبحانه وتعالى يأمرنا بالتقوى ويحثنا على مداومة طاعته ، ويدعو كل مؤمن إلى مراقبة نفسه ومراجعة حسناته وسيئاته ، عسى أن يتزود المحسن من الطاعات ، ويتدارك المسيء ما مضى وفات ، فيقول سبحانه: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا

كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} [الحشر: ١٨ – ٢٠] .

جدير بالذكر أن العمل الصالح هو البرهان على صدق الإيمان العبد ، لهذا كان مقترنًا به في كثير من الآيات الكريمة ، ولقد ساق لنا القرآن الكريم، ألوانًا من البشارات التي بشر الله بها عباده الذين جمعوا بين الإيمان الصادق والعمل الصالح، فقال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} [الكهف: ٨٨]. فتارة يبشرهم بالجنات التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فيقول سبحانه: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [البقرة: ٢٥] ، وقوله : {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة: ٨٢] ، وقوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف: ١٠٧]، إلى غير ذلك من الآيات .

وتارةً يبشرهم بالزيادة من فضل الله عز وجل ، فيقول تعالى: { فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [النساء: ١٧٣]. كما بشرهم القرآن بالهداية التي تجعل صاحبها يعيش في أمان واطمئنان وسعادة، فيقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}[يونس: ٩].

فالعمل الصالح هو زاد الآخرة ، وهو سفينة النجاة ، وصاحبه من أفضل الناس عند الله تعالى ، يقول سبحانه : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ} [البينة: ٧] ، ونبينا (صلى الله عليه وسلم) حين سئل : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ، قِيلَ : فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ) (رواه الترمذي).

فالإيمان بالله عز وجل والعمل الصالح هما سبب الفلاح في الدنيا والآخرة ، وبهما تنزل الرحمات ، وتحل البركات وترفع الدعوات ، وبهما تفرج الهموم والكربات ، قال تعالى : {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل:٩٧] ، ويؤكد ذلك حديث الثلاثة الذين احتبسوا في الغار ، وما نجوا من هذا الموقف إلا بعد أن دعوا الله تعالى بصالح أعمالهم ، ففرج الله عنهم ما هم فيه.

فليسارع كل مسلم إلى الأعمال الصالحة وخاصة في أيام شهر شعبان ، وهي كثيرة ومتنوعة وأبوابها واسعة ، فمنها التوبة إلى الله عز وجل من الذنوب والآثام ، ومنها كثرة الصوم ،

وصلة الرحم ، والعطف على اليتامى والمساكين ، والمحافظة على أموال الناس ودمائهم وأعراضهم ، وحسن الظن بالناس والثقة فيهم ، وغيرها من أعمال الخير والصلاح التي لا يقوم بها إلا أهل الخشية من الله الذين يؤمنون بآيات الله وكلامه ، قال تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [الأنبياء:٥٧ ـ ٦١].

ولنعلم جميعا أن العمل الصالح كما يشمل العمل الديني من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك من العبادات، فإنه أيضًا يشمل العمل الدنيوي من زراعة وتجارة وصناعة وكل عمل نافع أحله الله عز وجل لعمارة الكون .

وبذلك يعد شهر شعبان مدرسة يمارس فيها المسلمون ألوان الطاعة علمًا وفقهًا وسلوكًا وخصوصًا ما يتعلق منها بالصيام والقيام ، حتى يكونوا مؤهلين للدخول في رمضان الذي يعد جامعة كبرى لألوان الطاعات كلها ، من صيام وقيام وصدقة وتسبيح وذكر وقرآن ، وحتى يستغلوا هذا الشهر في محو سيئاتهم وغفران ذنوبهم ليلقى المؤمن ربه بصحيفة بيضاء نقية.

شهر بهذا الخير والبركة حري على كل مسلم أن يسارع فيه بالأعمال الصالحة تقربا إلى الله (عز وجل) ، وأن يبادر فيه باغتنام أيامه الفاضلة ، وأن يقتدي بهدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في شهر شعبان ، وليعلم أن العبادة في وقت غفلة الناس يحبها الله تعالى ويثيب عليها أكثر من غيرها.